...«ها هُنَا تُسكَبُ العَبراتُ يا عُمر»...

ونبقىٰ مع الرسول ﷺ وصحبه الأكارم وقد وصلوا إلىٰ البيت الحرام ، من حجّة الوداع ، وذلك في السنة العاشرة للهجرة:

حيث دخل الرسول ﷺ البيت الحرام من باب بني شيبة ، وكان الوقت ضُحىً ، وعندما رأىٰ البيت رفع يديه وكبّر وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيّنا ربّنا بالسّلام ، اللهم زدْ هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابةً ، وزدْ من حجَّهُ أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبرّاً»[1].

ثم طاف صلوات الله عليه بالبيت ، فاستلم الحجر الأسود وراح يُقبّله ، ذلك لأن للحجر الأسود خصائص ذكرها رسول الله ﷺ ، منها قوله: «نزل الحجر الأسود من الجنّة وهو أشدّ بياضاً من اللّبن ، فسوّدته خطايا بني آدم»[2].

ومنها قوله صلوات الله عليه: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»[3].

ومنها قوله ﷺ: «أشْهِدوا هذا الحجر خيراً ، فإنه يوم القيامة شافعٌ مشفّعٌ له لسانٌ وشفتان ، يشهد لمن استلمه»[4].

لكن الشيء الملفت للنظر تلك العلاقة الحميمة التي كانت بين المصطفىٰ

---

(١) سنن البيهقي: ٥/ ٧٣.
(٢) سنن الترمذي: ٣/ ٢٢٦.
(٣) سنن الترمذي: ٣/ ٢٢٧.
(٤) سنن ابن ماجه: ٢/ ٩٨٢.

ﷺ وبين الجمادات ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استقبل رسول الله ﷺ الحجر ، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً ، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي ، فقال: «يا عمر! ها هنا تُسكب العبرات»[1].

لكن وكي لا يُغالي المغالون ، وينحرف المنحرفون ، فيتصوّر أحدهم أن الحجر الأسود يضرّ وينفع ، ها هو عمر رضي الله عنه يأتي الحجر الأسود ، فيسلّم ثم يُقبّله ، ثم يقول: إني أعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ النبيّ ﷺ يُقبّلُكَ ما قبّلتُك[2].

صلوات الله وسلامه علىٰ ساكن طيبة!

ونسأل الله تعالىٰ أن يُكرمنا بزيارته في الدنيا ، وبشفاعته يوم الدين ، آمين:

لو لم تكن أزكىٰ البلاد وأطهرا ... ما اختارها لرسوله لمّا سرىٰ
فبطيبها أيقِنْ وخَلِّ من افترىٰ ... وابْشِرْ ففي الخبر الصحيح مُقرّرا
أن الإلٰه بطابةٍ سمّاها

دار الحبيب لنا فلُذْ برحيبها ... فالنفس مولعةٌ بدار حبيبها
الله شرّفها به لنصيبها ... واختصّها بالطيّبين لطيبها
واختارها ودعا إلىٰ سكناها

مدَّت بها رُحمىٰ الإلٰه ظلالها ... من أجل من منع النفوسَ ضلالها
جُلْ في البلاد فلن تُصيبَ مثالها ... لا كالمدينة منزلٌ وكفىٰ بها
شرفاً حلول محمد بفناها

* * *

(١) مجمع الزوائد: ٣/ ٢٤٢.
(٢) صحيح البخاري: ٢/ ١٨٣.